الأسواق العامة حول مكة المكرمة
ودورها في تشكيل الملامح الأدبية لمكة المكرمة

إعداد

د. محمد عبد الحليم خليفة

بحث مقدم إلى ندوة
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

ملخص البحث

لا شك أن الدور الحضاري الذي كانت ولا تزال تؤديه مكة عبر تاريخها المديد، إنما هو دور استمد خطورته من أسباب شتى، بعضها يتصل بإرادة الله عز وجل واختياره إياها، وبعضها يعود إلى أسباب تاريخية، لعبت فيها الأسواق المكية إبان الجاهلية والإسلام الدور الرئيس الذي أسهم في تشكيل الملامح الحضارية لمكة، ورغم أن الأسواق بمكة كانت جزءاً من منظومة الأسواق العربية في شبه الجزيرة، فإن لها خصوصية تجعلها تتفرد عن سائر أسواق العرب، تتمثل في كونها مرتبطة في زمان انعقادها بميقات الحج الزماني، فضلاً عن شهرة هذه الأسواق في الآفاق العربية وأطراف شبه الجزيرة لما كانت تحتويه من زخم أدبي ونشاط تجارى وسياسي واحتكاك اجتماعي، ساعدها في ذلك أزمنة قيامها المتعاقبة، وأمكنة انعقادها المتجاورة، وأهم هذه الأسواق ثلاث : عكاظ، مجنة، ذو المجاز، وفى ظني أن أول الأهمية التي شكلتها هذه الأسواق هي الأهمية الثقافية التي تمثلت – في نظرنا – في أنها خدمت العربية الصحيحة قبيل ظهور الإسلام، إذ عملت على توحيد اللغة العربية الأمر الذي أسهم بعد ذلك في توحيد نظرة العرب الثقافية، كذلك عملت على بلوغ الأدب العربي (إنشاءً ووصفاً) شأواً عالياً من البلاغة التي مهدت لأن ينزل القرآن المعجز ليتحدى هذه البلاغة في أرفع مستوى لها وصلت إليه، كما أن هذه الأسواق أيضاً كانت زاخرة بشتى الأمور التنظيمية الاجتماعية والقانونية الأمر الذي جعل منها محافل رسمية ذات مصداقية ومشروعية في عهودها وعروضها . أضف إلى ذلك

أهمية أخرى اقتصادية جعلت من مكة موضعاً له تأثيره واستراتيجيته تجارياً وسياسياً . وأخيراً كانت هذه الأسواق المسرح الأول الذي شهد الدعوة الجديدة إلى الدين البازغ من بطن مكة انطلقت بأخباره الركبان من أسواق مكة إلى الأحياء كلها حتى غمرهم جميعاً نوره الذي شمل مشارق الأرض ومغاربها .

أولاً : إن المكانة العلمية التي يحوزها إنسان أو تستأثر بها جماعة أو يرتبط ذكرها ببقعة ما من بقاع الأرض، لابد لها من ظروف شتى هيأت لها وجودها وتبلورها ، ثم ظهورها على رأس إنسان أو جماعة أو بقعة . وكما تستمد عين الماء ماءها من أوردة الأرض المنسربة في باطنها عبر أزمنة طوال، وكما تدفع هذه العين ماءها قنوات وجداولاً ، ولكي تستمر رحلة الأخذ والعطاء التي يكمن بين طرفيها الوجود الفاعل للإنسان أو للجماعة أو للبقعة فإننا ننظر إلى مكة بوصفها خلاصة لإرادة إلهية ، ومحصلة لجهد بشري متعاقب عبر الزمان جعل منها هذه البقعة الشريفة المشرفة التي استمدت مكانتها من إرادة الله عز وجل الذي اختارها وتعهدها ، ومن تلك المحصلة البشرية المتعاقبة من أجلها ، ومن ثم أخذت مكة تقوم بدورها في العطاء المتواصل عبر الزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وفي ذلك تلتقي مكة مع عين زمزم تلك العين التي تمثل هذه الحقيقة المكية فوجود هذه العين، وشرفها إنما هما راجعان إلى إرادة الله التي أجراها على ضربة جبريل عليه السلام بعقبه أو بجناحيه كما ورد في

الصحيح⁽¹⁾ كما أن هذا الوجود مدين إلى اهتمام العرب بها وحفرها مرة بعد مرة إلى أن أصبحت عيناً قائمة للشاربين، وأخذت دورها في العطاء المتدفق والمتجدد في آن، حتى أن كل مياه الأرض قد تأتي عليها ساعة فتذهب وتجف إلا زمزم التي تقف علامة وشاهداً على التاريخ بعطائها .

ونحن معنيون في هذه الورقة بإلقاء ضوء كاشفٍ بقدر ما يسمح به المقام على جانب من الجوانب التي استمدت منها مكة المكرمة تاريخها ومنزلتها لتواصل دورها التاريخي المقدس الذي أريد لها .

وإذا كانت هذه القرية القاحلة قد قُدر لها أن تكون نقطة تتقاطع عندها الخطوط التجارية العربية قبل الإسلام، فقد قدر لها أيضاً أن تكون مركزاً للجاذبية العاطفية لدى سكان محيطها المعمور سواء أضاقت دائرة الجزيرة العربية أم اتسعت لتشمل الأرض كلها فتطل بوصلة كل فؤاد متجهة شطر بيتها، وما أبلغ التعبير القرآني ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ ⁽²⁾ .

ولقد قدر لها ثالثاً أن تكون مهرجاناً أدبياً علمياً، ورحماً للغة

---

(1) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : فلما أشرفت – يقصد هاجر – على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه – تريد نفسها – ثم تسمعت أيضاً فقالت : أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء ...) الحديث – صحيح البخاري، جـ٢، حاشية السندي، ص ٢٣٥ .

(2) إبراهيم، الآية ٣٧ .

العربية، يُرعى أصولها ويدعم نموها، وبوتقة تنصهر عندها لهجات شتى من لغات اللسان العربي، وهذه الأخيرة هي التي تحاول الوقوف بإزائها وإخضاعها لمرآة مكبرة حتى نقف أو نقترب من أحد الروافد الذي ظل حقبة من الزمان يدعم مكة وينزلها منزلتها العلمية الرائدة حتى كانت – ودون مبالغة – مركزاً إشعاعياً لثقافة العربية قرآناً وشعراً ونثراً تقدمه في رحلة العطاء لمن حولها من بقاع الأرض قاطبة سهلاً ميسوراً ناضجاً مستوياً.

وبحثنا الذي نعنى به سيولي اهتمامه في الأساس تلقاء أحد الروافد التي سبق أن أشرنا أنها جعلت لمكة هذه المكانة العلمية والأدبية خاصة بعدما شهد التاريخ حدثاً مهماً وحداً فاصلاً في صيرورته الزمنية، وعلامة فارقة بل منعطفاً حاداً في تاريخ البشرية الفكري بعامة وأعني به حدث بزوغ نجم الدين الإسلامي في سماء رانت عليها ظلمة الجهل ردحاً طويلاً من الزمن.

فإذا كانت هناك مجموعة من الأسباب عملت جميعها على دفع حركة الفكر والأدب إلى الأمام إبان ظهور الإسلام، فإنّا نركز في السطور التالية على أحدها متمثلاً في المهرجانات الأدبية والمحافل الثقافية التي كانت سرادقها تشاد بمكة متمثلة في أسواق جُعلت أول ما جُعلت للتجارة غير أن الله قد قدَّر لها أن تكون موضعاً للاحتكاك الثقافي بين سكان الجزيرة العربية شمالها وجنوبها، وبين شتى قبائلها المنتشرة في نجد والحجاز، بالمعنى الذي يقصده المعاصرون من وراء مصطلحي " المثاقفة والتثاقف "، أجل فقد كانت هذه الأسواق المكية مسرحاً للتغلغل الأدبي في شتى منطلقاته القبلية

والفكرية وكذا الأسلوبية .

والمتأمل فيما شغلته مكة ببيتها الحرام وأسواقها المجاورة فضلاً عن كونها ملتقى سكك القبائل من الجنوب إلى الشمال يتأكد له أنه ثمة إرادة إلهية ترتب وتهيىء لمكة دوراً ما محورياً تحمل فيه تبعة الريادة الفكرية والأدبية بعدما ظهر أهميتها الاقتصادية التي أتتها من القوافل التي تزورها للحج والتجارة محملة بألوان شتى من خيرات بلدان هذه القوافل شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً ، الأمر الذي يكشفه قول اللّٰه عز وجل حينما امتن على أهل مكة قائلاً : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (٢) .

إضافة إلى كل ما سبق هناك إرادة إلهية أخرى في اختيار عناصر معينة متمثلة في قبيلة قريش التي سكنت بطاح مكة . ويُكتب لها الغلبة اللغوية المستمدة من سلطانها على البيت الحرام .

وعلى أية حال نحاول صياغة سؤال علمي، ثم نتبع ذلك محاولة أخرى في الإجابة عنه، فالسؤال الذي يطرح نفسه إذن كيف تأتّى للأسواق المكية أن تضيف إلى مكانة مكة العلمية والأدبية ؟ وما مظاهر هذه الإضافة وما قيمتها بالنسبة للمسلمين والإسلام بعامة؟

وللإجابة عن هذا السؤال يجب تتبع الأخبار التاريخية ،

---

(١) القصص الآية ٥٧ .

(٢) العنكبوت الآية ٦٧ .

والاقتراب أكثر من تلك البيئة، والإحساس بظرفها الاجتماعي، ومعايشة ملابساتها الاقتصادية والاجتماعية، للوقوف على صورة أكثر دقة وقرباً من الواقع التاريخي والاقتصادي الذي لازم نشأة هذه الأسواق، وحايث تطورها عبر الزمن، وشهد على ما اضطلعت به من أدوار رفدت النهر المكي وغذَّت شرايين الحياة الأدبية والثقافية، لتضمن الحيوية والتجدد، لمواصلة رحلة العطاء.

وسبيلنا في رسم صورة واضحة الأبعاد والمعالم لتلكم المواسم الخصبة أن نتعرف على ملامحها بتقليب صفحات التاريخ من جهة، ثم إكمال ما يبدو من نقص فيها بالفزع إلى الشعر الذي نَظَمَه بعض شعراء الجاهلية والإسلام من المخضرمين خاصة، وهم أولئك الشعراء الذين كانت لهم بهذه الأسواق صلات فاعلة وتجارب تشهد بغشياتهم إياها، كما تعكس من جانب آخر ما بلغته هذه الأسواق من شأو في أنفس مَنْ كانوا يحجون إليها، وما كانت هذه السبيل الثانية إلا لقناعتنا التامة بأن الشعر العربي ديوان العرب وسجل حيواتهم وأنه ذو قيمة وثائقية غنية، تسد بعض الثغرات التاريخية وتسهم في تقريب الصورة وتعمل على إيضاحها، لأنه يصور بدقة الحياة العربية لا في بعدها التاريخي الموضوعي فحسب، بل في نقله ما اكتنف هذه الحياة وحوادثها من شعور بالحب أو بالازدراء وبالإجلال أو بالانتقاص. وربما لا تنتقص هذه النظرة الوثائقية للشعر من كونه فناً لغوياً خالصاً يمتع قارءه بما يدفعه إلى وجدانه من موجات جمالية تشبع الوجدان كما تشبع العقل، فلا يزال الشعر العربي منذ أقدم عصوره يقنع العقل ويرضي الفكر، كما يُمتِّع الحس ويدغدغ العواطف الإنسانية.

وخلوصاً من التجريد إلى التحديد نتجه صوب الموضوع لنؤكد بعض الحقائق التاريخية .

ثانياً : وأول هذه الحقائق التي يجب أن نجملها قبل أن نتجه صوب تفصيلها ، هي " حقيقة الأسواق " التي كانت قبل الإسلام، إذ كان ظهور هذه الأسواق حتمياً ، عَكس حاجة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعيا لا يعيش وحده وإنما هو جزءٌ لا يتجزأ من منظومة اجتماعية في القبيلة أو العشيرة وفى منظومة أكبر هي المنظومة الإنسانية . والأسواق عموماً تعد ظاهرة حضارية تعكس ما وصلت إليه المجتمعات الإنسانية من تمدن في السلوك وتحول يفرضه عليها قانون التطور الإنساني الذي يحيل المجتمعات البدائية إلى أخرى زراعية وصناعية وتجارية ، وكلما تطور الإنسان ازدادت حاجاته وتبعاً لذلك ازدادت حاجته إلى السوق بوصفها المعرض الذي ينتهي عنده المحصلة النهائية للإبداع في شتى المجالات، ولقد كان للبيئة البدوية في شبه الجزيرة العربية أثر عظيم في اهتمام العرب في البادية وفى الحضر بالأسواق، فهي إن ملكت بضاعة افتقدت أخرى فتطلبها في الأسواق، ولذا تعددت أسواقهم من حيث العدد وتمايزت من حيث الأهمية التي تعود إما لموضعها أو لزمن انعقادها ، كما تمايزت من جانب آخر حيث حجم السوق ونوع البضاعة الغالبة عليها .

ولقد اختلف بعض العلماء في حصر عدد الأسواق التي كان

يعرضها العرب، وقد لخص أحدهم (١) هذه الآراء المختلفة، فبينما نرى القلقشندي في صبح الأعشى يعدها ثمانياً نرى اليعقوبي في تاريخه، والبغدادي في خزانته يعدانها عشراً، ثم يختلفان عليها فيذكر كل منهما بعضاً ويترك بعضاً، ونراها عند المرزوقي في كتابه الأزمنة والأمكنة تبلغ سبع عشرة سوقاً، ثم يأتي الآلوسي في كتابه بلوغ الأرب فيذكر منها أربع عشرة.

وعلى أية حال فإن هناك تقسيماً آخر لمجموع هذه الأسواق يحسن أن نضعه نصب أعيننا قبل التفصيل في أسواق مكة على وجه الخصوص، فقد قُسمت هذه الأسواق تبعاً لمن تخضع له ويبسط عليها نفوذه وهي على النحو التالي :

أ- أسواق (٢) خاضعة لنفوذ أجنبي، تدار بنظم خاصة وتتضاءل فيها الصبغة العربية، كما نرى في " الحيرة " و " هجر " و " البحرين " و " عمان " وغيرها من المواطن التي تدين عليها السيطرة الفارسية . وكما نرى في " بصرى " و " أذرعات " و " غزة " و " أيلة " وغيرها مما يدار بالإدارة الرومانية . والذي ينظر في هذه الأسواق عمال عرب يعينهم ولاة الفرس وولاة الرومان، وهؤلاء العمال الذين يتولون السوق هم الذين إليهم أعشار أهلها .

ب- أسواق أنشأها العرب أنفسهم بحكم الحاجة فصارت مع

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ت . سعيد الأفغاني، ص١٨٠، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٨١ – ١٨٢، ت . الأفغاني .

الزمن تمثلهم أصدق تمثيل في عاداتهم في البيع والشراء والخصام والدين والزواج والحقوق، ولا يشرف عليها إلا سراة أهلها، وهي مرآة العرب في الجاهلية وبها نستطيع أن نعرف كل ما كان عليه العرب تقريباً في معاملتهم وعلائقهم بعضهم ببعض . وهي في أماكن لا أثر للنفوذ الأجنبي عليها وتمثل لهذا القسم بعكاظ . ولا عاشر في هذا القسم والعرب يتبايعون فيه ببيوع خاصة بهم .

ج ـ أسواق ذات صبغة مختلطة، نظراً لموقعها الجغرافي وهي التي تكون على البحر " كعدن " و " صحار " و " دبي " وفى هذه يجتمع تجار الحبشة والهند والصين وفارس ويضؤل فيها الطابع القومي بمقدار ما يقوى شأنها التجاري .

ثالثاً : أما مكة فقد شهدت في جاهليتها وحتى بعد ظهور الإسلام ثلاث أسواق كبرى (١) ، احتفى بها جميعاً العرب ومَنْ جاورهم بأطراف الحيرة والغساسنة شمالاً واليمن جنوباً، فأولاها سوق عكاظ، وثانيها سوق مجنة، وثالثها سوق ذي المجاز وهي أسواق قُدر لها أن توجد على التعاقب الزمني وليس على التزامن المكاني، بمعنى أنها لم تكن معقودة ومتعاصرة في زمن واحد بمواضع شتى، بل كانت محكومة بالزمن، فأولاها إذا أقيمت ثم انفضت جاء دور

---

(١) وذكر الإمام الحافظ الفاسي أن هناك سوقاً مكية رابعة لأزد تسمى سوق " حُبَاشَة " على بعد ست ليال من مكة ناحية اليمن، وكانت تقام ثلاثة أيام من شهر المحرم، لذا فهي ليست ضمن أسواق موسم الحج، وكانت آخر ما خُرب من الأسواق عام ١٩٧ هـ عندما جرد والى مكة إليها جيشاً فخربها لأن أزداً قتلت واليه عليها، = راجع شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ص ٢٨٤ لأبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي، تحقيق وتعليق لجنة من كبار العلماء .

الثانية عقبها فإذا انفضت وانتهى وقت انعقادها أقيمت الثالثة عقبها في أزمنة مخصوصة متعاقبة ومواضع شتى حول مكة . واللافت في أصل المرجعية التي جعلت من أزمنة انعقاد هذه الأسواق محكومة بشهور مخصوصة من العام، يتأكد لديه أنها مرجعية تاريخية دينية تعود إلى أصل الديانة الحنيفية التي وضعها إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وإلى بيت الله الحرام بمكة الذي رفعا قواعده بأمر من الله في اختيار مكانه من الأرض ووقت الحج إليه حينما انطلق الأمر الإلهي واضحاً وعاماً ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١) .

ورغم ما جرى على ديانة إبراهيم من تقلص، وتبديل أجيال تلو أجيال لقواعدها المتمثلة أساساً في عقيدة الوحدانية إذ ظهرت الوثنية وجلبت الأصنام إلى مكة ووضعت بالكعبة حتى بلغت ثلاثمائة وستين صنماً قبيل عهد الإسلام، أقول رغم ما حدث من تغيير من عهد إسماعيل إلى عهد الوثنية الأخيرة فإنه قد بقي الحج إلى بيت الله الحرام عقيدة يحرص عليها الناس ويعدّون له عُدتهم ويتحملون وعثاء السفر إليه ضاربين أكباد الإبل عبر المفاوز والجبال والشعاب حتى يهبطوا وادي مكة في أشهر الحج وهم راضون فرحون ببلوغهم مرادهم بقطع النظر عن شركهم وأنهم يتجهون إلى أصنام لهم قدسوها ظانين إنها تقربهم إلى الله زلفى، المهم أن العرب وإن دخلتهم الوثنية فانحرفت بعقيدتهم من التوحيد إلى الشرك إلا أنهم كانوا

---

(١) سورة الحج، الآية ٢٧ .

حريصين على موسم الحج كل عام إلى هذه البقعة وهذا ما يهمنا في هذه النقطة . إذ أنه لولا حجهم في جاهليتهم إلى بيت الله بمكة ما كانت هذه الأسواق لتوجد وتكون في الأصل، ومما أكد في نفوس عرب الجزيرة جميعاً وغيرهم في الشمال قدسية بيت الله، وزكى إجلالهم له حادثٌ يعد علامة لا تمحى في ذاكرتهم إنه حادث الفيل وجيش إبرهة الجرار الذي جاء لهدمه فتكفل ربُّ البيت بدحره والتنكيل بجيشه وإظهار قدرته في أعدائه تأكيداً لجميع خلقه بحرمه بيته، تلك الحرمة التي امتدت لتشمل مكة كلها بأسواقها الثلاث، التي سنقف الآن عندها ونستعيد جوها التاريخي .

أ – عُكَاظ : هي أولى الأسواق الثلاث وأكبرها وأهمها بل أعظمها (١) ، وقد اختلف الباحثون (٢) في تحديد مكانها . وأقرب ما يمكن استخلاصه من آرائهم في موقعها أنها كانت بأعلى نجد في أرض هي من ديار قبائل قيس بن عيلان بن مضر، شمال الطائف،

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي، جـ٤، ص ١٤٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧ .

(٢) راجع في ذلك :

أ– الأزمنة والأمكنة لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني، جـ٢، ص١٦٥، مطبعة دائرة المعارف، بحيدر أباد الدكن (١٣٣٢هـ) الهند .

ب– موقع عكاظ، دكتور عبد الوهاب عزام، ص ٤٣– ٥٣، دار المعارف بمصر، ١٩٥٠ .

جـ– أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جـ١، ص ١٩٠ جـ٢ ص ٣١٠ لأبي الوليد محمد عبد الله الأزرقي، طبعة دار الأندلس (١٣٨٥هـ– ١٩٦٥م) بيروت عن نسخة حققها ونشرها بمكة رشدي الصالح ملحس، سنة ١٣٢٥هـ – ١٩٣٣ م .

د– معجم البلدان لياقوت الحموي، جـ٤، ص ١٤٢، جـ١، ص ٤٤٩ .

هـ– الأغاني، جـ٢٢، ص ٦٤ لأبي فرج علي بن الحسين الأصفهاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م .

وشمال شرق وادي نخلة، وراء قرن المنازل بنحو أربعة وعشرين ميلاً أي مسيرة ليلة واحدة على طريق المسافر من مكة إلى اليمن .

وكما اختلف الباحثون في تحديد موضعها، اختلفوا أيضاً في تحديد تاريخ بدايتها الزمني، وقد لخص عرفان حمور (١) آراءهم، فالباحثون ما بين فريقين أحدهما يذهب إلى أنها قد بدأت في الظهور على مسرح التاريخ في أواخر القرن السادس الهجري، وربما حدد محمود شكري الآلوسي (٢) تاريخها بعام ٥٨٥ م، وقد تابعه في ذلك محمد حسين هيكل (٣) . وثانيهما ذهب إلى أقدم من ذلك كأحمد أمين (٤) ، وانتهى سعيد الأفغاني (٥) إلى أنها أي سوق عكاظ قد بدأت في حوالي عام ٥٥٠ م وربما إلى أول القرن السادس، وربما تستطيع النصوص الأدبية أن تؤيد الرأي الثاني باعتبارها وثائق تاريخية، يقول النابغة الجعدي (٦) من الكامل :

ولقد شهدتُ عكاظ قبل محلِّها فيها، وكنت أُعَدُّ في الفتيان
والمنذر بن محرقٍ في مُلكه وشهدتُ يوم عجائن النعمان

---

(١) سوق عكاظ ومواسم الحج، ص ٢٠٣–٢٠٦ ت . عرفان محمد حمور، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ .

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، جـ١، ص ٢٧٠ شرح محمد بهجة الأثري، دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الثالثة .

(٣) في منزل الوحي ٣٦٣–٣٦٤ مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٥٦هـ– ١٩٣٧م)، القاهرة .

(٤) عكاظ والمربد – مجلة الرسالة لسنة ١٩٣٣، ١٣– ٢٥ .

(٥) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٠٩، ت . سعيد الأفغاني .

(٦) ديوان النابغة الجعدي، ص ١٧٦، جمع وتحقيق د . واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨ .

ويقول (١) في أخرى من الوافر :

فمن يكُ سائلاً عني فإني   من الفتيان أيامَ الختانِ

فالنابغة وكما يبدو من الأبيات كان لا يزال فتى (٢) (وحينما ملك الحيرة المنذر بن ماء السماء نحو سنة (٥٠٦م) وكان شاباً كذلك أيام " الختان "، وهو مرض خطير وقع في عهد المنذر، ففتك بالناس والإبل، فأرَّخوا به إذ عدوه من الحوادث العظام، وقال أنه عاش حتى أدرك زمن الملك النعمان بن المنذر (٥٨٣–٦٠٤م) . ثم أدرك الإسلام، فأسلم وكانت له صحبة وتوفى نحو (٦٧٠م) عن عمر طويل، قيل أنه بلغ مئة وثمانين سنة أي أن مولده كان نحو (٤٩٠م) وشهوده عكاظ كان في أوائل القرن السادس وربما منذ سنة (٥٠٥ م) أيام حداثته) .

ويضيف المخبل السعدي معلومات تاريخية تؤكد التاريخ نفسه حينما يفتخر بجده سعد بن زيد مناة، يقول من الطويل (٣) :

لياليٌ سعدٍ في عكاظ يَسُوقُها   له كل مشرقٍ من عكاظ ومغربِ

والبيت يورد أيضاً أمر القضاء وعكاظ، ويؤكد أن الحكومة فيه كانت لتميم فلقد اتفق أهل الأخبار (٤) على أن (سعد بن زيد مناة بن تميم هو أول من اجتمعت له الخصلتان معاً من بني تميم : إمامة الموسم، والقضاء

---

(١) ديوان النابغة الجعدي، ص ١٧٨ .

(٢) سوق عكاظ ومواسم الحج، ت . عرفان حمور، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

(٣) الأزمنة والأمكنة، جـ٢، ص ١٦٧ للمرزوقي .

(٤) سوق عكاظ ومواسم الحج، ت . حمور، ص ٢٠٦ .

بعكاظ، ومعنى هذا أن إحداهما كانت في أبيه، والأخرى كانت في عمه عمرو بن تميم، ثم صارتا بعدئذ إرثاً في أبنائهما) . ولقد ظلت سوق عكاظ تقوم بدورها الثقافي والاقتصادي – كما سيأتي بسط ذلك – ما يقرب من قرنين ونصف من الزمان، إذ أنه لو صح تاريخ بدايتها في أوائل القرن السادس الميلادي – كما أشرنا – فإن التاريخ يؤكد أن نهايتها وانصراف العرب والمسلمين عنها جاء في حوالي عام ٧٤٧م، وتحديداً في عام ١٢٩ هـ، وكانت بداية خرابها وزهد الناس فيها مجموعة من العوامل لعل أهمها دخول المختار بن عوف الأزدي الحروري الأباضي على رأس جيش من الخوارج مكة واحتدام الصراع (١) بها حيث عمل على تخريب بعض المواضع منها سوق عكاظ، ولعل هناك أسباباً أخرى قد أسهمت بشكل فعال في انتهاء دور عكاظ الثقافي والتجاري، إذ انصرف كثيرٌ من رواد هذه السوق من الأدباء والشعراء إلى الدين الإسلامي يستذكرون القرآن والحديث منشغلين بالدين الجديد عن عصبية ما قبل الإسلام التي كانت مظاهرها واضحة فيما كان يعرض بعكاظ من أشعار ومنافرات، وهناك أسباب أخرى قضت على دور عكاظ الاقتصادي إذ نافسها في شبه الجزيرة العربية خاصة في البلدان المفتوحة شمالاً وشرقاً عددٌ من الأسواق التي ازدهرت وأصبح لها دور يؤبه له أكثر من عكاظ وغيرها من الأسواق الجاهلية، أما موعد انعقاد سوق عكاظ فهناك شبه إجماع من بين المؤرخين إنه إذا أهلَّ هلال ذي القعدة انعقد السوق ليظل قائماً مدة عشرين يوماً، ليأخذ سوق مجنة العشرة الأواخر من ذي القعدة، ثم يأتي دور ذي المجاز ليأخذ الأيام الثمانية الأولى من ذي الحجة حتى يوم التروية، والواضح أن هذه الأسواق كانت مرتبطة بشهور الحج إذ يجدها

---

(١) أخبار مكة، جـ١، ص ١٩٠، ت. الأزرقي.

حجاج البيت فرصة للتجارة وما إلى ذلك من أمور حياتهم الشخصية، يقول ابن عبد ربه (١) : (وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذي القعدة إلى وقت الحج) . ومعنى ذلك أن هذه الأسواق المتعاقبة إنما ارتبطت في نشأتها بموسم الحج كما أشرنا سابقاً إلى مكة كل عام، فغاية انعقاد تلكم الأسواق على اختلافها هو الحج الذي كان هو الغاية الأعلى والهدف الذي أوجد هذه الأسواق وحدد لها أزمنتها، ولعل عرفات ومنى كانا سوقين (٢) هما الآخران . وقد ذكر الأزرقي أن العرب كانوا كلما أهلَّت شهور الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، يخرجون إلى مواسمهم في عكاظ ومجنة وذي المجاز وعرفة ومنى، فهذه مواسم الحج (وكانوا يقولون : لا تحضروا أسواق عكاظ ومجنة وذا المجاز إلا محرمين بالحج) (٣) .

ب- أما سوق مجنة : فهي ثانية أسواق موسم الحج، كانت تلي سوق عكاظ زماناً، وهناك شبه اتفاق على موضع سوق مجنة بأنها كانت تعقد شمال مكة على بعد اثني عشر ميلاً بوادي مر

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي، جـ٥، ص ٢٥٣ شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٨٢ م .

(٢) نعم كان عرفات ومنى يمثلان سوقين، وكان العرب يحرمون التجارة عند حجهم بعد ذي المجاز حتى أباح لهم الله التجارة إلى جانب الحج ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة الآية ١٩٨) وذكر الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور في شرحه ديوان النابغة الذبياني ص٢١٩ حاشية رقم (١) أن الأسواق التي كانت للعرب قبل الإسلام في أثناء حجهم هي عكاظ ومجنة وذو المجاز وزاد عرفات وحنين .

(٣) أخبار مكة، جـ١، ص ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢، وراجع سوق عكاظ ومواسم الحج، ت . حمور ص ٢١١ .

الظهران (١) قرب جبل الأصفر شمال مكة، وكانت السوق تقع في بني الدئل خاصة من كنانة، ويبدو أن مجنة كانت منطقة معروفة بطيب هوائها وصفاء مائها يبدو ذلك من قول حسان بن ثابت يتمنى فيه أن يبيت ولو ليلة بمنطقة فخ حيث وادي الزاهر بمكة وحيث تحيط به الأعشاب طيبة الرائحة ويشرب من ماء مجنة بجانب جبلي شامة وطفيل إذ يقول (٢) :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ
ليلة بفخ وحولي إذخرٌ وجليلُ
وهل أرَدن يوماً مياه مجنةٍ
وهل يبدون لي شامة وطفيل

أما ميقات انعقاد هذه السوق فكان في العشر الأواخر من ذي القعدة أي بعد انفضاض سوق عكاظ تواصلاً مع موسم الحج، وكان من يفوته شراء شئ أو بيعه أو عرض أدبه أو أسير له، أو البحث عن ثأر أو غيره في سوق عكاظ طلبه في سوق مجنة إذ أن مجنة كانت تقوم بكل ما كانت تقوم به سوق عكاظ من أنشطة تجارية وأدبية، ويبدو أن الخمر كانت قبل الإسلام من أشهر السلع التي كانت ينتظرها حجاج مكة ليبتاعوها إذ أنها تجلب خصيصاً إلى مجنة من

---

(١) أخبار مكة، جـ١، ص ١٩٠، وصحح القاضي عياض بعدها عن مكة بثلاثين ميلاً أي بريدين، نقل ذلك ووافق عليه الفاسي في شفاء الغرام، ص ٢٨٤ .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، جـ١٠، ص ٣١٩–٣٢٠، مطبوعات المجتمع العلمي العربي بدمشق ومعجم البلدان، جـ٥، ص ٥٩، ولم أجد الأبيات بديوان حسان .

بصرى وغزة، فأبو ذؤيب الهذلي يصف أجود أنواع الخمر وهي السلافة داخل دنان مطلية بالقار لحفظها توضع خلف الراكب تُشترى من سوقي بصرى وغزة شمالاً وتحمل فوق نياق قوية تحتمل سير هذه المسافات الطوال حتى تأتى بها سوق مجنة صافية رائقة لذة للشاربين

يقول (١) :

سُلافةُ راح ضمَّنتها إداوةٌ مُقبرّة ردف لمؤخرة الرَّحل
تَزَوَّدَها من أهل بُصرى وغَزَّةٍ على جَسْرَةٍ مرفوعة الذَّيلَ والكِفْل
فوافى بها عُسْفَانَ، ثم أتى بها مَجَنَّة تصفو في القِلال ولا تغلى

وقد آلت سوق مجنة إلى ما آلت إليه سوق عكاظ من إهمال بعد الإسلام، إذ انصرف عنها المسلمون لخير منها، ولم يعد لها كبير أثر في دفع الحركة الأدبية والعلمية وكذا التجارية بعد الإسلام .

جـ- ذو المجاز : هي ثالثة الأسواق انعقاداً بعدما تنفض سوق مجنة، وتقع هذه السوق على بعد ثلاثة أميال من الموقف بجبل عرفات بالقرب من جبل كبكب الذي يجعله الواقفون بعرفات خلف ظهورهم (٢) وكان لبني هذيل بن مدركة وفيها يقول المتوكل الليثي (٣) :

---

(١) معجم البلدان، جـ٥، ص ٥٩ .

(٢) أخبار مكة، جـ١، ص١٩١، ومعجم البلدان، جـ٥، ص ٥٥ وجـ٥، ص ٥٦٥ .

(٣) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي، جـ٥، ص ٥٥ .

للغانيات بذي المجاز رسوم في بطن مكة عهدهن قديم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارُ عليك إذا فعلت، عظيم

ويبدأ انعقاد السوق عندما يهل هلال ذي الحجة إذ ينصرف الحجاج ولا يزالون محرمين من مجنة إلى ذي المجاز حتى اليوم الثامن منه وهو يوم التروية، إذ ينزلون بذي المجاز ليتروا من الماء وكان ذو المجاز ذا أهمية وخصوصية عن سابقيه لوجهين :

الأول : أنه كان يعد آخر الأسواق الكبرى في موسم الحج فعلى من لم يستطع أن يبيع أو يشترى شيئاً أو يعرض بضاعة أدبية أو اجتماعية في عكاظ أو مجنة أن يدرك ذا المجاز ليقضى فيه وطره قبل انقضاء موسم الحج، والوجه الثاني : هو أن العرب كانت تبيح في موعد هذه السوق بذي المجاز التجارة إلى جانب نسك الحج، إذ يحل للحاج الجمع بينهما، ذلك لأنه سيحرم عليه في عرفة ومنى أن يتجر بشيء ليتفرغ للعبادة حتى جاء الإسلام وأباح الرسول للحجيج أن يتجروا في هذه الأيام .

رابعاً : الأسواق الثلاث ومكانتها

لقد كانت لهذه الأسواق مكانة خاصة في نفس زوارها الذين جاءوها من كل حدب وصوب من شبه الجزيرة العربية وأطرافها، وهذه المكانة قد اكتسبتها مكة ذاتها بوصفها موضع البيت الحرام الذي يحمل كل زواره له مكانة خاصة في القلوب، وإذ علمنا أن هذه الأسواق قد ارتبطت تاريخياً بموسم الحج أصبح واضحاً لدينا مدى ما كان لها من منزلة مقدسة حتى أنهم كانوا يقولون لا تنزلوا هذه

الأسواق إلا وأنتم محرمون، من هنا اكتسبت هذه الأسواق مكانتها من مكة وحرمها، ومن كونها كانت تعد جزءاً من موسم الحج في أشهر الحج، وهذا بالضبط ما جعلها على عكس غيرها من الأسواق معفاة من أنواع الضرائب التي كانت تفرض في نظائرها من الأسواق يقول أحدهم في ذلك (١) : (ليس فيها مكاس ولا عشار لأنها لم تكن في ملك أحد من الأمراء . وقربها من مكة ومشاعر الحج ألبسها حرمة تتقصف دونها مطامع الكبراء)، فلم تكن هذه الأسواق كغيرها من الأسواق في أطراف شبه الجزيرة العربية تقع في حوزة ملك من الملوك يستبد بها ويفرض فيها العشور والضرائب إضافة إلى أنها – كما قلنا سابقاً – كانت مشمولة بحرمة موسم الحج إلى بيت الله الحرام بمكة، بل كانت هذه الأسواق تحظى باحترام الأمراء والكبراء من ملوك الشمال الذين كانوا على بعدهم الجغرافي عنها يعرفون قدرها وقيمتها المحورية في المنطقة . الأمر الذي كان يدفع بعضاً منهم خاصة ملوك العراق إلى أن يحيطوا هذه الأسواق برعايتهم وعنايتهم (٢) (وأن يضعوا الجوائز القيمة باسم الشعراء البارعين)، بل أكثر من ذلك كان أهل مكة ذاتهم هم الذين يأخذون ضرائب من التجار الذين كانوا ينزلون مكة في رحلاتهم التجارية وعرفت هذه الضريبة بـ " الحريم " (٣) .

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ت . سعيد الأفغاني، ص ٢٥١ .

(٢) سيد قريش، جـ٢، ص ٢٢–٢٣، ت . معروف الأرناؤط، مطبعة فتى العرب، ١٣٥٠هـ–١٩٣١م، دمشق

(٣) الاشتقاق لابن دريد نقلاً عن شوقي ضيف العصر الجاهلي، ص٥٠.

فما كان لهذه الأسواق الثلاث أن تأخذ مكانها على خارطة أسواق العرب إلا لأنها كانت تقع في حمى مكة التي ألقت عليها غلالة قداستها وشيئاً من حرمتها وقدسيتها في النفوس (١) (يقول ابن الفقيه إن أهل مكة لم يؤدوا في الجاهلية إتاوة قط، ودانت لهم خزاعة وثقيف وعامر بن صعصعة وفرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم، وهم بعد أعز العرب، يتأمرون عليهم قاطبة) .

بقى لنا أن ننظر إلى هذه الأسواق الثلاث من حيث أهميتها، لا في ذاتها فحسب، وإنما في دعمها للنهضة العلمية والثقافية، وبصيغة أخرى إننا في حاجة ماسة للتعرف على مدى ما أسهمت به من دور فاعل في دفع حركة العلم أو الثقافة على وجه العموم إلى الأمام، وكانت هذه الأسواق تمثل دوراً مؤثراً في الحركة الثقافية إلى جانب أدوار أخرى جعلت من مكة المكرمة مركزاً ثقافياً عالمياً إلى كونها كعبة حجاج الأرض ومنطلق دعوة السماء إلى أهل الأرض بالتوحيد، ودين الله الحنيف . ولذلك سنحاول في السطور التالية تحديد الدور الذي لعبته هذه الأسواق، وهذا الدور يتمثل في الأساس في أهميتها التي يمكن عزوها إلى : أهمية ثقافية، واقتصادية، وفكرية كلها يعكس ذلك الدور الحضاري الذي أدته أسواق مكة في الجاهلية وفي الإسلام .

---

(١) نقلاً عن العصر الجاهلي، ضيف .

أ- الأهمية الثقافية

ولأن الثقافة في أعم معانيها تشمل أدوات شتى ينتمي بعضها إلى اللغة كأحد طرق التواصل بين أفراد المجتمع الواحد وغيره من المجتمعات . والأدب بوصفه فناً لغوياً انتهت عنده اللغة إلى كامل نضجها وتمامها ، ومن هذه الأدوات الثقافية أيضاً مجموعة العلاقات الاجتماعية التي كانت تمثل بنية المجتمع بقبائله وعشائره وما يتصل به من عادات وتقاليد ، لذلك فيمكننا تلخيص هذه الأهمية في ثلاثة أبعاد تشكل هذه الأهمية الثقافية .

١- في جانب اللغة العربية :

لقد شاء الله لأسواق مكة أن يكون زوارها من أمشاج مختلطة من الأجناس البشرية التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية وما حولها من إمارات الجنوب اليمني والشمال العراقي والشامي، وأتخيل أن من كان ينزل هذه الأسواق ليلتمس حاجة له، لسمع لهجات عربية شتى، كل منها ينتمي إلى اللسان العربي الأم، وإن كل واحدة من هذه اللهجات العربية تحتفظ بخصائصها الصوتية الخاصة بها ، وإلى جانب هذه اللغات العربية أتصور أنه قد كان هناك من غير العرب من كان يتحدث بلسانه الفارسي أو الرومي ثم إذا تكلف العربية لحن، فالسوق إذن كانت مسرحاً بل معرضاً للغات شتى ما بين فصيح بدوي وآخر حضري وبين لفظ أجنبي ولحون يلحظها زائر إحدى هذه الأسواق وسط المنشد لقصيدة والهاتف لعصبية والزاعق لبضاعة، غير أن هذه الأسواق - خاصة عكاظ - كانت

بمثابة الغربال الذي أخذ ينخل اللغات ويقوم بعملية اصطفاء للفصيح منها، وما كان هذا إلا من خلال الاحتكاك بين أصحاب لغات العرب بعضهم ببعض، فإذا هم يجلسون ويتحدثون ويتحاورون ويقوّمون ما اعوج من ألسنتهم. وهذا الاحتكاك الثقافي اللغوي كان غالباً داخل سرادقات أدبية ومهرجانات شعرية، تتوازى مكاناً وزماناً مع غيرها من الأنشطة التجارية والاقتصادية التي كانت تنهض بها أسواق مكة الثلاث. إذن يمكننا القول – مطمئنين مع آخرين من الباحثين – إن أسواق مكة الثلاث قد أتاحت فرصة لصراع اللغات – اللهجات – العربية وكذا الشرقية.

وكانت هذه الأسواق في مظهرها الأدبي الذي سوف يأتي بسطه حلبة هذا الصراع الثقافي استطاعت فيها لغة معينة أن تحتوي باقي اللغات، وتصرع بعضها الآخر، حينما لم تصمد هذه اللغات الأخرى لقوة هذه اللغة وقدرتها الفائقة على ابتلاع غيرها وهضمها وإعادة تمثلها وتوحيدها في صورة واحدة ذات سلطان وسيادة مهيمنة وأعني بهذه اللغة لغة قريش سكان مكة وساداتها، الذين كان لهم بأسواقها كلمة ورأي مسموعان.

لقد هيأت تلكم الأسواق الثلاث التي لا تفتأ إحداها أن تقوم تلو الأخرى وتعقد على تخوم مكة، هيأت للهجة قريش دون غيرها من لهجات العرب أن تسود ويعلو سلطانها في الجاهلية اللهجات القبلية المختلفة ⁽¹⁾ (وأن تصبح هي اللغة الأدبية التي يصوغون فيها أدعيتهم

---

(١) العصر الجاهلي، ت. شوقي ضيف، ص ١٣٣، ١٣٤.

الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم وقد تدل على ذلك بعض الدلالة سوقها عكاظ ، فقد كانت سوقاً أدبية كما كانت سوقاً تجارية ، وكان الخطباء يرتجلون فيها خطبهم وينشد الشعراء قصائدهم ولم يُرو ذلك عن سوق سواها ، ومما يدعم هذا الدليل ما قاله الرواة من أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً ، وما ردوه فيها كان مردوداً ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة التميمي فأنشدهم قصيدته : " هل ما علمت وما استودعت مكتوم " فقالوا : " هذا سمط الدهر " ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته " طحا بك قلب في الحسان طروب " فقالوا : " هاتان سمط الدهر " وإذن فنحن لا نعدو الواقع إذ قلنا أن لهجة قريش هي الفصحى التي عمت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب، بل في كل القبائل العربية شمالاً وغرباً وشرقاً ، وفى اليمامة والبحرين وسقطت إلى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن وخاصة في أطرافها الشمالية حيث منازل الأزد وخثعم وهمدان وبني الحارث بن كعب في نجران) .

لقد حدث ما يمكن تسميته بالوحدة اللغوية قبيل الإسلام ولم تكن تلك الوحدة لتتحقق إلا بعد صراع طويل (١) (بدأ منذ ما قبل الميلاد واستمر نحواً من خمسة قرون، قضت الحجازية على اليمنية قبل لهجاتها ، وتحققت الوحدة اللغوية حينئذ بين العرب في الجزيرة) .

---

(١) سوق عكاظ ومواسم الحج، ت . عرفان حمور، ص ١٦٩ .

ويضيف أحدهم ملقياً الضوء على نهاية هذا الصراع بقوله (١) : (وما هو إلا أن نزل القرآن بها ، حتى بدأت معركتها الأخيرة ضد الآرامية ، فصرعتها ، وصارت لها السيادة المطلقة في جميع أنحاء جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ، ولم ينج من سيطرتها سوى مناطق قليلة معزولة ، ظلت على الآرامية أو العبرية) .

وربما كان لعكاظ أكبر الأدوار فيما يمكن أن يسمى بمراحل التهذيب اللغوي قبل توحيدها على لغة قريش ، إذ كانت قريش (٢) (تبالغ في انتقاء اللهجات ، وانتقاء الأفصح من مفرداتها) ، وهذا التهذيب لم يكن وليد يوم أو عام بل كان نتاجاً طبيعياً لجهد جماعي استمر سنوات حتى استطاعت لغة قريش الفصيحة أن تكون سيدة لهجات العرب وتجعل الأدباء في شتى أنحاء الجزيرة يتجهون بلغة شعرهم إلى مكة التي أصبحت كعبة الحجاج والشعراء معاً .

على هذه الحال مضت لغة قريش هي اللغة الفصحى المعتمدة والتي يحوز بها شعراء العرب عموماً مكانهم ومكانتهم بين الشعراء ، ولغرض ما ذهب بعض المستشرقين في طلب الفصحى العربية في غير لهجة قريش ، فذهبوا يبحثون عنها في لهجات أخرى في قبائل نجد ، وقد رد عليهم د . شوقي ضيف بأن زعمهم ذاك لا يقوم لأنهم كانوا (متناسين أن شيوع لهجة بعينها لابد أن تقترن به حالة سياسية أو روحية أو حضارية ، تهيئ لها هذا الشيوع والانتشار) (٣) .

---

(١) سوق عكاظ ومواسم الحج ، حمور ، ص ١٦٩ .

(٢) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، جـ١ ، ص ٨٧ ، ٩٥ ، طبعة مصر .

(٣) العصر الجاهلي ، ت . د . شوقي ضيف ، ص ١٣٣ .

وهنا ينبغي أن ندرك أنه ثمة إرادة إلهية شاءت هذا الدور من التحول أو قل تَجَمُّع لهجات شتى وانصهارها تحت لواء لهجة واحدة هي لهجة قريش بوصفها أفصح اللهجات حتى ينزل القرآن الكريم بها ، بعدما شاعت وأصبحت اللهجة الرسمية التي تكتب بها أروع النصوص الأدبية وأخلدها ، ولعل طه حسين لم يخطيء حينما أكد أن شعرنا الجاهلي إنما نستدل على صحته اللغوية من القرآن الكريم ذاته وليس العكس (١) ، لسوف يأتي أن اتفاقاً ما لغوياً وبنائياً انتهى إليه الشعراء قبيل الإسلام فجمعهم أسلوب صناعة شعرية واحد يشف عن وحدة اللغة والتصور الفني للأشياء .

والحق أن توحيد اللغة على النحو الذي بيّناه لم يكن الفضل يرجع فيه لقريش خاصة إذ كانت هناك قبائل عُرفت أكثر من قريش بالفصاحة وخرج من بطونها الشعراء والخطباء، ولعل قبيلتي إياد وتميم أكبر مثل – إلى جانب أسد وهذيل وقيس – على تفوق قبائل كثيرة في صناعة الشعر الفصيح، فالفضل إذن يرجع في الأساس إلى المكان والزمان اللذين جمعا كل الشعراء من شتى القبائل والبطون فوحدوا لغتهم وأعني الأسواق خاصة عكاظ التي كانت بمثابة مجمع اللغة العربية عمل على فرز ما بها من عيوب وانتقى واصطفى الأسلم والأفصح، فاستبعدت اللغة حينئذ كثيراً من العيوب التي تلحق بعض اللهجات وهي عيوب ترجع في الأساس إلى خصوصية في نطق بعض الحروف لدى لهجات معينة عرف بها أصحابها منها (٢) عنعنة تميم،

---

(١) في الأدب الجاهلي لطه حسين، راجع المقدمة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٦٩ م .

(٢) البيان والتبيين، جـ١، ص ١٣٧–١٣٨ لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المكتبة التجارية، القاهرة (١٩٣٢م)، تحقيق حسن السندوبي .

=

وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وتلتلة بهراء، وعجرفية ضبة، وعمعمة أو عجعجة قضاعة، وطمطمانية حمير، ولخلخانية عمان والشحر.

والذي يبدو لقارئ أشعار العربية خاصة المعلقات في خلوها من مثل هذه المعايب في النطق يتأكد له أن أسواق عكاظ ومجنة وذا المجاز حينما كان الشعر ينشد في إحداها كان بريئاً من مثل هذه العيوب، ولو أن شاعراً غدا ينشد في عكاظ أو في غيرها شعراً تضمن كشكشة أو عنعنة .... إلخ لأصبح أضحوكة لسامعيه وأصبح شعره نكتة يتفكه بها أهل السوق (١) .

خلاصة القول إذن أن اللغة العربية قد بلغت في الجاهلية وقبل نزول القرآن الكريم حداً من الاستواء وبلغت درجة من التمام والكمال فأضحت لغة مثالية في المجتمعات الأدبية بعكاظ ومجنة

=

العنعنة : إبدال همزة أول الكلام عيناً فيقولون عن بدلاً من أن، الكشكشة هي : قلب كاف خطاب المؤنث الأخير شيناً مثل كتابش بدلاً من كتابِك، الكسكسة هي : قلب كاف الخطاب في المذكر سيناً فيقولون كتابسِ بدلاً من كتابَك، التضجع هو الإمالة والخفض، التلتلة هي : كسر أوائل الحروف، كقولهم : تِعملون وتِعقلون وتِصنعون . العجرفية : التقعر في الكلام . الغمغمة : هي عدم إظهار بعض حروف الكلمات أثناء الكلام . العجعجة : يجعلون الياء جيماً مع العين كقولهم : راعج في راعي، ومعج في معي . اللخلخانية : كقولهم مشا الله بدلاً من ما شاء الله . الطمطمانية : كقولهم طاب امهواء بدلاً من طاب الهواء، يجعلون الميم بدل أل التعريف . ومنه " وفدهم على رسول الله وقد سألوه : هل من امبر امصيام في أمسفر ؟ أرادوا هل من البر الصيام في السفر .

(١) راجع : دراسات في فقه اللغة، ص ٩٦، د . صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة (١٩٨١م) بيروت .

وذي المجاز قامت هذه اللغة في الأساس على خير اللهجات العربية بما فيها لهجة قريش وغيرها من القبائل الفصيحة كإياد وتميم، وبهذه اللغة الناضجة القوية جرت الأشعار ودُبجت الخطب، ولم تمتلك هذه اللغة قوتها وصفاءها إلا بعد ما نفضت عن نفسها العيوب النطقية في بعض اللهجات (فبدت في أحسن حلة، فيما وصل إلينا من أدب عصر الجاهلية، وظهرت في أبلغ صورة حينما نزل القرآن الكريم بها، في بلاغته المعجزة وتحديه العرب أن يأتوا بمثله، على ما لهم من بلاغة وفصاحة، ونظر ثاقب في دقة التعبير، وخفايا القول وأسراره)(١) ، وهذا ما يدفعنا للوقوف على البعد الثاني من أبعاد الدور الثقافي الذي مثلته أسواق مكة، وأعني الدور الأدبي الذي كان جزءاً من النهضة الثقافية والعلمية التي أدت فيه مكة دورها الحضاري .

٢- في جانب الأدب :

إننا لا نغالي إذا قلنا إن نهضة الشعر العربي – في الجاهلية خاصة –، مدينة إلى أسواق العرب التي كانت تعقد فيها مجامع الشعر وتنصب قبابه، ولا شك أن الأسواق الأدبية كانت تمثل الإجازة التي يمنحها النقاد والسامعون والرواة للشعراء الذين يقصدون هذه الأسواق لعرض أشعارهم، فإذا أضفنا إلى هذا ما قلناه سابقاً من أن هذه الأسواق كانت بمثابة المجامع اللغوية التي وحدت لهجات اللغة العربية في لغة رسمية صافية، أمكننا إذن القول ثانية بتوكيد دور هذه الأسواق وأخص منها عكاظ لسببين : لشهرته كمهرجان أدبي

---

(١) سوق عكاظ ومواسم الحج، ت . عرفان محمد حمور، ص ١٩٠ .

من ناحية، ولطول مدته الزمنية التي تبلغ العشرين يوماً على عكس السوقين اللتين تتليانه، أجل لقد كان لعكاظ وغيره السبب الأقوى في نهضة الشعر الجاهلي والعربي بعامة وكان الشعراء أنفسهم يعرفون خطر هذه الأسواق، كذلك كانت أحياء العرب تعرف لها خطورتها، لذلك حرص الشعراء أن يعرضوا أشعارهم التي عكفوا عليها حولاً كاملاً أو بعضه، على السامعين بعكاظ مثلا . ولعل أظهر الشواهد هي قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي المعلقة المشهورة التي عدها الرواة والنقاد فخر العرب لعصبيتهم لأنها تلتهب حماسة وإعظاماً لنفس العربي الأبي .

لقد حرص صاحبها أن ينشدها في عكاظ حتى تسير شهرتها بين أحياء العرب ويتحدثون بها ركبانا ورجالا وهذه القصيدة التي مطلعها ⁽¹⁾ :

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا   ولا تُبقي خمورَ الأنْدرينا

وقد حقق صاحبها ما يصبو إليه من فخار لقوميته بقدرته على الفتك بالملك عمرو بن هند اللخمي نحو سنة (٥٦٩م)، وقد طارت شهرتها في الآفاق بين أحياء العرب وكتب لها الخلود الأدبي وذلك يرجع لأنها قد قيلت في محفل عكاظ الذي ختم عليها بخاتمه فذاع صيتها عبر الزمن .

وإذا أراد شاعر من الشعراء أن يهدد آخر لوّح له بالقول أن

---

(١) راجع : شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها (معلقة عمرو بن كلثوم) الشنقيطي، دار الأندلس، بيروت، د . ت .

سيُدبج فيه قصيدة تدب في عكاظ وتزلزل مسامع أحياء العرب، والخطورة هنا لا ترجع إلى ما في القصيدة بقدر ما ترجع إلى المحفل العكاظي ذاته . وأشهر حادثة في ذلك الموضوع ما جرى بين أمية بن خلف الخزاعي وبين حسان بن ثابت، إذ هدد الأول صاحبه بأن يكتب فيه قصيدة هجائية لها دويها إذا قيلت في عكاظ يقول أمية (١) :

ألا ، من مُبلغ حُسان عني مُغَلْغَلَةً تَدبُّ إلى عكاظ

ويرد عليه حسان بن ثابت مهدداً بنفس السلاح الماضي بين الشعراء، وهو سلاح عكاظ، يقول حسان (٢) من الوافر :

أتاني عن أمية زُورُ قوْلٌ وما هو في المغيب بذي حفاظ
سأنشر ما حييت لكم كلاما ينشر بالمجامع من عكاظ

وما أخذت المعلقات شهرتها إلا بعد إجازة السامعين لها بالأسواق فما جرى على قصيدة عمرو بن كلثوم يجري على قصيدة الحارث بن حلزة وامرئ القيس (٣) (وسائر المعلقات الطوال، فما كان الإجماع لينعقد على فوزها بالسبق، والتفوق، لولا أنها صبغت بلغة أدبية مثالية يفهمها العرب جميعاً بمختلف لهجاتهم، وليس فئة مخصوصة منهم) .

كما أنني أعتقد أن بنات أحد رجال العرب المعوزين في

---

(١) راجع القصة في أمالي ابن الشجري، جـ١، ص١٢٦، طبعة حيدر آباد، ١٣٤٩هـ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، جـ١، ص ١٥٣، شرحه وعلق عليه دكتور وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ .

(٣) سوق عكاظ ومواسم الحج، ت . حمور، ص ١٨٠ .

الجاهلية مدينات إلى الشاعر الأعشى الذي وفر لهن جميعاً الأزواج من أشراف العرب وأثريائهم، وكان هذا نتيجة لإحدى قصائده في مدح أبيهن المحلق، وهذه القصيدة لولا قولها في عكاظ خاصة ما سمع الناس عن المحلق وبناته، فعندما انتشرت بين الناس تسابقوا للفوز بهؤلاء البنات زوجات لهم . وقصيدة الأعشى التي ألقاها بالسوق وكان لها هذا الأثر الاجتماعي الخطير فهي قوله (١) : (من الطويل)

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق

وكما كان لعكاظ أثر بالغ في صيرورة أشعار أمية بن خلف وحسان، كان لها أيضاً أثر في تخليد كثير من منافرات العرب ومنافستهم الشعرية ويزخر كتاب أبي الفرج الأصفهاني (٢) بألوان شتى من هذه المنافسات الشعرية. ولم تكن مثل هذه المنافسات الشعرية مقصورة على الرجال دون النساء، بل شهدت عكاظ أيضاً تنافساً نسوياً بين كل من الخنساء وهند بنت عتبة فكلتاهما قالت شعراً حزيناً باكياً انطلقت شهرته من عكاظ، فالخنساء ترثي أخويها وهند ترثي عتبة أباها وعمها شيبة وأباهما ربيعة.

أما أبو ذؤيب الهذلي فتكشف لنا بعض أبياته عن خطورة من الناحية الأدبية حينما يقول (٣) من الوافر :

إذا بُني القبابُ على عُكاظٍ وقام البيعُ واجتمع الألوفُ

---

(١) ديوان الأعشى، ص ٢٦٧ ، تحقيق محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤ .

(٢) راجع : الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، جـ١٠ ، ص ١٣١ وما بعدها ، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧ م .

(٣) ديوان الهذليين، القسم الأول، شعر أبي ذؤيب، ص ١٠٠ ، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٥ .

تُواعدُنا عكاظ لننزلنهُ ولم تَعلم إذا أنّي حليفُ

ولم يكن حظ الخطابة في عكاظ بأقل من حظ الشعر، بل على العكس كانت العرب تحب الخطابة أكثر من الشعر وتلتف حول الخطيب في الأسواق والمواسم، لأنه كان يقدم حكمته ونصيحته المؤثرة في نفس العربي بجرسها الموسيقي وإيجازها البلاغي، وربما كان قس بن ساعدة الأيادي والأكثم بن صيفي من أعظم خطباء العرب قاطبة أفرد الجاحظ لهما أبواباً في كتابه البيان والتبيين، ومن المعلوم تاريخياً أن أشهر هذه الخطب هي خطبة قس بن ساعدة بعكاظ في أحد مواسم الحج قبل البعثة ولم يكن الرسول ﷺ سوى غلام حديث السن غير أنه شهدها وسمعها ولا زالت بخلده تؤثر فيه معانيها القوية وحكمتها البليغة حتى بعد الإسلام، يقول قس بن ساعدة الشيخ الوقور وهو راكب على جمل أورق متكيء على قوسه مرتجلاً (١) :

(أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدجاة، وأنهار مجراة . إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا أم تُركوا فناموا ؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً ...) . وبعدما انتشر الإسلام

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ص ٣٠٩ مطبعة الخانجي، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

وطبق آفاق الجزيرة وبلغ الرسول ﷺ أربعين عاماً تذكر حينما جاءه وفد من إياد قسا، فسأل عمن يحفظ خطبته تلك التي لا يزال الرسول يذكرها ويذكر مشهدها بعكاظ فعندما يجيبه أحدهم بها يعجب بها ويدعو قس أن يبعثه الله يوم القيامة أمة .

كانت الأسواق إذن ذات أهمية أدبية بالغة فيما كان يقال فيها من شعر وخطب، حتى أنها كانت بمثابة المهرجانات الأدبية التي تنطلق منها التجارب الأدبية العظيمة التي يُكتب لها الذيوع والخلود حتى الآن كالمعلقات والخطب، وكان أولئك الشعراء والخطباء يحصلون في هذه الأسواق على شهادة ميلادهم الأدبية ويحوزون إجازتهم من النقاد والرواة ليصبحوا أدباء معتمدين بين القبائل والأحياء العربية .

نقطة أخرى أتاحتها هذه الأسواق فيما كان يقال فيها من شعر خاصة، وهي نقطة غاية في الأهمية الأدبية واللغوية معاً، فلقد لاحظ أحد الباحثين (١) أنه ثمة إرادة إلهية جعلت أساليب الصناعة في الشعر قبيل نزول القرآن تتفق في ملامح مخصوصة لغوية وتصويرية، وتظهر هذه الأساليب في شعر الخمر والأسفار على وجه الخصوص، إذ اتفق الشعراء في أساليبهم الصناعية فتشابهوا في وصف الخمر وفى وصف الناقة وفى وصف أسفارهم عبر الصحراء، وقد علل ذلك تعليلاً جيداً إذ أن ذلك كان يعد مظهراً من مظاهر الكمال اللغوي والوحدة

---

(١) راجع : أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، د . محمد محمد حسين، الخاتمة، دار النهضة، ط٢، بيروت، ١٩٧٢ .

الفنية التي مهدت للغة القرآن بعد ذلك، وأضيف من عندي عاملاً آخر يتصل بالأسواق ذاتها، إذ أن جل هذه الأشعار الجاهلية كانت تعرض بأسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز فأضفت هذه الأسواق بنقادها المعروفين لوناً من الوحدة عليها فتشابهت الأساليب على لغة واحدة وانتظم الشعراء في أساليب فنية نمطية استمدت نمطيتها من ذلك النظام الذي فرضته الأسواق الأدبية بذوقها اللغوي والفني الخاص. ويتصل بالنشاط الأدبي لعكاظ نشاط موازٍ، جعل من عكاظ وغيرها من الأسواق معرضاً فيه زخَمْ وفاعلية وأعني به نشاط النقد الأدبي الذي كان يُمارس ويستعد له الشعراء استعداداً خاصاً فكانت الأسواق وكما يقول أحدهم (١) معرضاً للبلاغة ومدرسة بدوية، يلقى فيها الشعر والخطب، وينقد ذلك كله ويهذب. وقصة النابغة الذبياني الذي كان يشهد عكاظ وتضرب له فيها قبة حمراء ويأخذ مجلسه في الحكومة بين الشعراء أشهر من أن نعيدها غير أننا نكتفي هنا فحسب بالإشارة إلى أن الأحكام النقدية التي أُثرت عنه وعن غيره في هذه الأسواق أصبحت من تراثنا النقدي الذي لا زلنا نتعلمه ونعلمه أبناءنا، إننا في حاجة إلى أن نتفحص كيف انتقد النابغة على سبيل المثال بيتاً واحداً لحسان وأوقفه فيها على أربعة أخطاء لغوية وفنية. وبذا تكون أسواق مكة قد مثلت في نشاطها النقدي دوراً قلما يتكرر إنها (٢) (مجمع أدبي لغوي رسمي له محكمون تضرب عليهم القباب فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم

---

(١) عكاظ والمربد، ٢٣/١٣، مجلة الرسالة، ١٩٣٣ م. د. أحمد أمين.

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٤٣، ت. سعيد الأفغاني.

شعرهم وأدبهم، فما استجادوه فهو الجيد ، وما بهرجوه فهو الزائف)، وإلى جانب ذلك كان النقاد يمنحون الشعراء ألقاباً جديدة، مستعارة من صفة أشعارهم كالمرقش والمهلهل . ولعلنا نذكر ما قلناه عن الجوائز التي كانت تُرصد للشعراء المجيدين من قِبل بعض الأمراء في مهرجان الاحتفالات الأدبية بالأسواق، ولعل إحدى هذه الجوائز أن بعضهم كانت قصيدته تفوز فتكتب بماء الذهب وتعلق بأستار الكعبة بمكة .

٣ - في الجانب الاجتماعي :

إن الأسواق العامة التى كانت حول مكة المكرمة لم تكن فحسب أسواقاً أدبية وتجارية – كما سيظهر – بل كانت ذا أنشطة اجتماعية كثيرة ومتعددة . نظراً لأنها أسواق موسمية كان يؤمها الناس من كل مكان يلتمس فيها شتى أنواع الحاجات (١) (كان قاصد هذه الأسواق أيام الحج، موزع السمع بين داعي إلى ثأر وناشد ضالة ومنشد قصيدة، وخطيب، وعارض بضاعة، وآمر بمنكر ...، فيجد شيئاً معروفاً قد ألفه منذ عقل وأبصر الدنيا) .

فكانت هذه الأسواق إذن تعكس شتى مظاهر الحياة الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية بشتى قبائلها ، وبطونها ، تعكس عاداتهم وتقاليدهم وشتى العلاقات الإنسانية الرابطة بين أفراد عشائرهم . ومن الطريف أن التاريخ يذكر لنا أن كبراء القوم

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٣٠٣، الأفغاني .

وأشرافهم إذا نزلوا بإحدى هذه الأسواق لبسوا أقنعة على وجوههم حتى لا يُعرفوا . فطريف العنبري أحد أشراف العرب وشجعانهم فضّل ألا يتقنع إذا نزل عكاظ كعادة شرفاء العرب حتى رآه رجل، له عنده ثأر، فنظر إليه وتوسمه جيداً، وعندما فطن طريف له قال (١) من الكامل :

أو كُلَّما وردتْ عُكاظ قبيلةٌ   بعثوا إليَّ رسُولهُمْ يتوسَّمُ

فكان يقصدها طلاب الثأر، وحاملو الديَّات، والمصلحون بين المتخاصمين، وكانت هذه الأسواق تعج بمن يُسبى من الفتيان والنساء لبيعهم أو لشرائهم، ولقد اشترت خديجة بنت خويلد عبداً لها كان قد أُسر في إحدى الغارات الجاهلية وهو زيد بن حارثة، اشتراه لها ابن خالتها حكيم بن حزام (٢) .

ويزخر الشعر العربي القديم بمدائح لكثير من كبراء العرب وأشرافهم الذين تحملوا ديَّات بعض القتلى، وسعيهم بذلك للقضاء على كثير من الخصومات أو الثأر الذي ينشب في الجاهلية بين القبائل .

كذلك كانت هذه الأسواق هي الملجأ الذي يلوذ به طالب الأمن أو الجوار حتى ينجو بنفسه من فتك بعضهم له، علماً منه أن مَنْ يطلب الأمن في مثل هذه المحافل العامة التي يحتشد فيها الناس من

---

(١) الأصمعيات، ص ١٦٧، عبد الملك الأصمعي، دار المعارف، القاهرة، د . ت .

(٢) المعارف، ابن قتيبة، ص ١٤٤، حققه وقدمه الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة السادسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ .

كل مكان يضمن سلامته لما تضفيه هذه الأسواق من مشروعية ولما تحظى به من ثقة القبائل، فالعهود التي تُكتب فيها والمواثيق التي يتفق عليها بهذه المحافل تكتسب مصداقية وحرمة كحرمة البيت الحرام الذي يقصده الحجيج مُحرمين عبر أسواقهم (١) ، (فكم أوى إليها من خائف يطلب من يجيره فيجده ويلجأ إليه ويأمن وكم من رجل حمل معه فداء أسيره ففكه من أسره) .

وكان من يحترم عهوده التي وقَّع عليها في هذه الأسواق ويفي بها، رفعت له بهذه الأسواق راية الوفاء ليشتهر خلقه بين الناس وتكون هذه الراية بمثابة إعلان رسمي أو شهادة حسن سير وسلوك، على عكس من يغدر أو يخون رُفعت له راية الغدر (٢) والخيانة ليعرف أمره وتُفتضح خلائقه بين القبائل المحتشدة فيتجنبه الناس ولا يعاهدونه، وكانت هذه سبيلاً في إصلاح الكثيرين الذين خافوا على أنفسهم أن يصمهم العار بهذه الأسواق فاعتدلوا في سلوكهم ووفوا بعهودهم .

ولعل من ضمن ما أسهمت به هذه الأسواق في النهوض بالمجتمع المكي، هي أنها كانت تشهد احتكاكاً سنوياً بين العادات والتقاليد المختلفة في شبه الجزيرة العربية من بدوية جافية غليظة، وحضرية سهلة ناعمة، فكانت تقلل ما أمكنها ذلك من غلواء الأولى، الأمر الذي انعكس على المجتمع المكي الذي لم

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٧٥–١٧٦، ت . سعيد الأفغاني .

(٢) أسواق العرب، الأفغاني، ص ٢٨٤ .

يكن بدوياً محضاً ولا حضارياً خالصاً، بل كان مجتمعاً تنصهر في بوتقته شتى العادات والتقاليد كما انصهرت فيه من قبل شتى اللهجات العربية، وقد دعم ذلك كونها أي مكة مركزاً تجارياً كبيراً وملتقى قوافل من العرب والعجم .

ب -أهميتها في الجانبين السياسي والتجاري

وكما كانت لهذه الأسواق أهميتها الثقافية التي مثلنا أبعادها بأهميتها اللغوية والأدبية والنقدية والاجتماعية، كانت لها أيضاً أهميتها السياسية والتجارية، ففي ضوء ما عرضناه أمكننا القول بأن الأسواق العامة حول مكة كانت محكمة عرفية، فمن كان يريد أن يدفع إتاوة ما عليه، أو يريد تخليد ذِكر قومه أو التفاخر بانتصاره الحربي أو السياسي كما فعل عمرو بن كلثوم جاء هذه الأسواق وأعلن بها ما يريد أن يذيعه بين العرب، وأكثر من ذلك فلقد كانت هذه الأسواق وخاصة عكاظ أشبه بندوة سياسية سنوية، وكانت منبراً إعلامياً لمن أراد أن يعلن حرباً على قبيلة من القبائل، ويشبهها أحدهم بجمعية الأمم المتحدة إذ يقول (١) :(حتى جمعية الأمم وما تقوم به من مجهود رسمي في سبيل السلم الخاص، كان لها صورة مصغرة تشبهها بحسب الظاهر) .

كل هذا جعل من مكة ذاتها العاصمة القومية (٢) للعرب

---

(١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٤٥ .

(٢) سوق عكاظ ومواسم الحج، ص ١٦٩ .

جميعاً، وسوق عكاظ المجمع العام لقبائلهم، والمعرض الكبير لمتاجرهم، وبصيغة أخرى فقد كان لوضعها التجاري الذي يشبه الآن في خطورته واستراتيجيته قناة السويس بمصر أثر بعيد دفع أحد الكتّاب الأوربيين وهو لامنس أن يشبهها حينئذ بأنها – أي مكة – بأسواقها كانت أشبه بجمهورية كجمهورية البندقية التجارية (١) .

وقد مرت علينا أبيات لأبي ذؤيب الهذلي تؤكد أن بعض هذه الأسواق قبل الإسلام كسوق مجنة مشهورة بألوان معينة من البضائع كالخمر، وكانت عكاظ تجلب إليها البرود اليمنية والسيوف الهندية والعطور الفارسية، وكذا كانت ذو المجاز . ولزيادة الفائدة قد جمعت في آخر البحث ملحقاً لبعض الشواهد الشعرية للشعراء الجاهليين والمخضرمين الذين ذكروا في أشعارهم تلكم الأسواق الثلاث، وفى هذه الشواهد دليل على منزلة هذه الأسواق من الناحية السياسية والاجتماعية وغيرها من النواحي الإنسانية لتكون وثائق لمن أراد أن يطلع على ذكر هذه الأسواق في شعرنا القديم .

جـ - في الجانب الفكري

وكما كان لهذه الأسواق من أهمية لا تنكر في توحيد اللغة وتقريب بعض العادات، كان لها أيضاً أهمية في تقريب الأفكار وتوحيد الرؤية . وسرعان ما جاء الدين الإسلامي فسهل تلك النظرة التوحيدية أو قل التوفيقية، وهذا ما عناه بروكلمان حينما قال :

---

(١) نقلاً عن العصر الجاهلي، ص ٥٠، ٥١، ت . شوقي ضيف .

(وإلى هذه الأسواق وبالتالي إلى الدين بشكل غير مباشر، يعود معظم الفضل في توحيد نظرة العرب الجاهليين إلى العالم، وصهر عاداتهم، ومفاهيم الشرف عندهم في بوتقة واحدة ، ومنحهم لغة شعرية مركزة، تسمو على جميع اللهجات، وتستغرقها) (١) حتى إذا ما بزغ نجم الدين الجديد تم به توحيد نظرة العرب إلى الوجود من حولهم بعدما وجهها الإسلام وجهته .

ومن المعلوم لدى المشتغلين بسيرة النبي ﷺ أن عكاظاً وذا المجاز كانتا سوقين يغشاهما محمد بن عبد الله قبل بعثته في مواسم الحج شأنهما في ذلك شأن غيرهما من أسواق مكة حيث كان ﷺ يتردد عليها جميعاً، وبعد بعثته بثلاث سنوات أخذ يجهر بدعوته واختار عكاظاً لأنها أكبر هذه الأسواق فبدأ فيها دعوته وظل يهتف في الجموع الحاشدة قائلاً : " أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا " (٢) وكان عمه أبا لهب يمشي وراءه في السوق يكذبه، ولما اشتد إيذاء قريش له كان يأتي في الأسواق القبائل فيستجير بهم كي يمنعوه من قومه حتى يؤدى رسالته .

ولا شك أن كثيراً من القبائل وزوار هذه الأسواق الثلاث في موسم الحج خاصة كانوا قد سمعوا بهذه الدعوة الجديدة لأول مرة في الأسواق، ولا شك أنهم قد عادوا إلى أحيائهم وبلدانهم يحدثون

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٦، ت . كارل بروكلمان، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين (١٩٧٩ م) بيروت .

(٢) راجع السيرة النبوية لابن هشام، جـ١، ص٢٠٠ وما بعدها، ت . محمد فهمي السرجاني، مكتبة التوفيقية، مصر .

قومهم بهذا الداعي الجديد وذلك الدين البازغ من مكة، فهذه الأسواق إذن كانت البيئة الأولى بعد دار الأرقم بن أبي الأرقم التي أذاعت خبر دين الإسلام ونقلته عبر مناطق شبه الجزيرة المختلفة .

ويطول بنا المقام إذا تتبعنا الأدوار الثقافية والفكرية التي أدتها أسواق مكة وجعلتها ذات دور آخر حضاري أسهم في أن تأخذ مكة منذ وقت باكر طابعاً عالمياً وليس محلياً على شتى المستويات خاصة المستوى العلمي بعد انتشار الإسلام، فأصبحت (ملتقى للمسلمين من مختلف أقطارهم، وهي بحكم دينهم الحنيف لابد لهم أن يتوجهوا إليها ويرتبطوا بها، ولهذا فقد أصبحت مكة منذ جاء الإسلام مركزاً للثقافة الإسلامية، يجتمع فيها العلماء الذين يفدون من أقصى الشرق والغرب، ويتحصل من هذا الالتقاء تقارب وتفاهم وتبادل رأي واستزادة علم وامتداد لروافد المعرفة وانتشار للأفكار بين مختلف الفئات الإسلامية) (١) .

ولقد مر بنا أن بعض الكُتَّاب قد وصفوا الأسواق المكية بأنها تشبه ندوة سياسية، أو جمعية للأمم، أو مجمعاً للغة العربية، أو معرضاً ضخماً للتجارة الدولية، أو مهرجاناً أدبياً حافلاً، مر بنا ذلك كله غير أننا نحب أن نختم بتشبيه آخر وُصفت به الأسواق خاصة عكاظ، يؤكد ما كان لها من منزلة بين شتى الأسواق العربية، وما ميّز طابعها الرسمي غير المحلي بقول أحدهم (٢) : (فسوق عكاظ، في

---

(١) نقلاً عن كتاب الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، ت . طرفة عبد العزيز العبيكان، الرياض، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية .

(٢) تاريخ العرب، ص ١٣٧، د . فيليب حتى، وإدوارد جرجي وجبرائيل جبور، دار غندور، ١٩٨٦م، بيروت.

جاهلية التاريخ العربي، كانت أشبه شئ بأكاديمية كبرى في بلاد الغرب . وكان الفائز في عكاظ يباهي بنفسه مباهاة البطل المجلىَّ من أبطال الإغريق في ألعابهم الأوليمبية، بل ليس بين نائلي جائزة نوبل اليوم من يزيد فخره على فخر أولئك الفائزين في عكاظ الجاهلية) .

وبعدما ظهر الإسلام وعم نوره أرجاء الجزيرة العربية والعالم كله، تهيأت مكة بفضل تاريخها الذي يقوم على دعامتين : بيت الله الحرام من جهة، والأسواق داخلها وخارجها من جهة أخرى، تهيأت لتواصل دورها الثقافي والعلمي والحضاري، فجاءها الناس من كل فج في العالم طلباً للدين الجديد ينهلون من نبعه الأصيل فأصبحت مكة جامعة يؤمها العلماء فينزلونها وتحلو لهم الإقامة فيها دون غيرها (١) ، ويضحون من المجاورين يكرسون حياتهم للتأليف ونشر العربية وعلوم الدين لمن ينزلها من غير العرب . وكما كانت مكة منذ جاهليتها حاشدة بالأسواق والمنتديات كدار الندوة التي كانت أيضاً منتدى للقبيلة (٢) يتشاورون فيها ويصدرون قراراتهم المصيرية، أضحت بعد ذلك وعبر العصور مركزاً للعلم، وكعبة للعلماء وصدراً يحتضن شتى المنظمات والمؤسسات والأربطة المهتمة بكل ما يتعلق بأمور المسلمين، وبذا فهي عاصمة للثقافة العربية والإسلامية . ولولا أن الله قد أراد لها أن تكون تحت سلطان دولة قوية وحكومة رشيدة، ما حملت هذا الطابع الثقافي والحضاري، ولما

---

(١) عصر الدول والإمارات " الجزيرة العربية – العراق – إيران "، ص ٥٣، د . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ٥، دار المعارف، الطبعة الثالثة (د.ت) .

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ١٢٢، د . أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي (د.ت) .

تهيأ لها أن تقود الثقافة الإسلامية وعلوم العربية، خاصة وأن أحداً من ملوكها وأمرائها لم يدخر وسعاً في تعهدها، ورعاية أهلها وحجيجها، والحفاظ على مكانتها التي اختارها الله لها بأن تكون أم القرى بحق. وكان أقصى غايتهم من وراء ذلك أن يكونوا خدّام حرمها وحرم المدينة المنورة.

***

الخاتمة :

وبعد ...

فلقد حاولت في هذه الورقة أن أربط بين بعض الأسواق التي كانت تُعقد حول مكة وبين مكة ذاتها بوصفها مقصد الحجاج إلى بيت الله الحرام انطلاقاً من حقيقة تاريخية معلومة وهي أن تلكم الأسواق – وإن كانت خارج مكة – فإنها كانت ترتبط بها ارتباطاً تاريخياً ودينياً في آن، إذ كان وجودها زماناً ومكاناً مرتبطاً بموسم الحج في الجاهلية إلى البيت الحرام، ومن ثم كان لجملة هذه الأسواق أكبر الأثر في دعم الدور الثقافي والحضاري الذي حملته أم القرى عبر العصور.

واعتماداً على ما توفر لي من مراجع حول تاريخ هذه الأسواق فقد أمكنني حصر أهميتها بالنسبة لمكة المكرمة في الآتي :

١– أهمية ثقافية :

تمثلت فيما أدته هذه الأسواق من دور بالغ الأثر في تصفية

اللغة العربية وتوحيد لهجاتها في لغة فصيحة ناضجة ومستوية بفضل ما كانت تضمه هذه الأسواق من نشاط أدبي ونقدي يحظى باحترام شتى القبائل مما أضفى عليها لوناً من المشروعية والمصداقية لدى سكان الجزيرة، الأمر الذي انعكس على مكة ذاتها فأصبح لها في نفوس حجيجها مكانة ثقافية بالإضافة إلى مكانتها الدينية .

٢- أهمية سياسية وتجارية :

حيث كانت الأسواق العامة حول مكة كعكاظ أشبه بالمحافل السياسية التي كانت تُطرح فيها الآراء وتُعلن الحروب، كما كانت معرضاً تجارياً حافلاً ضمت صنوفاً شتى من البضائع المحلية والأجنبية، الأمر الذي ألقى بظلاله أيضاً على مكة بوصفها المركز أو قُل السبب لوجود هذه الأسواق .

٣- أهمية فكرية :

حيث عملت هذه الأسواق وغيرها من الأسواق الداخلية في مكة ذاتها على وحدة اللغة والصناعة الأدبية ومن ثم وحدة النظر إلى الوجود خاصة بعد مجيء دين الإسلام .

لقد كان لهذه الأبعاد الثلاثة أثر في تمكين الدور الثقافي الذي قدره الله لمكة إذ جعلها أم القرى ومركز للثقافة الأم، فتهيأت بعد ظهور الإسلام لتواصل عطاءها الدعوي والثقافي تأسيساً على إرادة الله باختيارها أم قرى العالم ثم اعتماداً على ما أضافته لها الأسواق من أبعاد ثقافية وسياسية واقتصادية وفكرية . وبذا كانت مكة المكرمة هي عاصمة للثقافة الإسلامية في العالم .

ملحق لزيادة الفائدة يضم :

الأبيات التي أوردت ذكر إحدى الأسواق الثلاث

لشعراء ما قبل الإسلام والمخضرمين *

قبل الإسلام

- عكاظ :

النابغة الذبياني

١– أَرَأَيتَ يَومَ عُكاظَ حينَ لَقيتَني   تَحتَ العَجاجِ فَما شَقَقتَ غُباري
٢– مُتَكَنِّفي جَنبَي عُكاظَ كِلَيهِما   يَدعو بِها وِلدانُهُم عَرعارِ
٣– وَهُم وَرَدوا الجِفارَ عَلى تَميمٍ   وَهُم أَصحابُ يَومِ عُكاظَ إِنّي

طريف العنبري

١– أوَ كُلَّمَا وردتْ عُكاظَ قبيلَةٌ   بعثُوا إليَّ رسُولَهُمْ يتوَسَّمُ

مالك الهذلي

أَبَأنا بِيَومِ العَرجِ يَوماً بِمِثلِهِ   غَداةَ عُكاظٍ بِالخَليطِ المُفَرِّقِ

---

* الأبيات الواردة في هذا الملحق يمكن التماسها في دواوين الشعراء المستشهد ببعض أبياتهم، أو غيرها من مصادر الأدب والمجموعات الشعرية الأصيلة . ولم نرد أن نوثق كل بيت من هذه الأبيات وحده، لما سيشغله التوثيق حينئذ من حيز كبير، خاصة وأن هذه الأبيات جاءت في ملحق البحث وليس في صلبه، وكان الهدف من وراء تذييله البحث مجرد إلقاء الضوء لا أكثر، فللباحث أن يقرأه للاسترشاد أو يهمله . علماً بأن بعض المصادر الأدبية التي سجلت هذه الأبيات ثابتة في قائمة المصادر والمراجع .

وهيبة بنت عبد العزي

مَتى تَردوا عكاظَ تُوافِقوها بأَسماءٍ مَجادعها قصارُ

❖ ذو المجاز :

أبو مزاحم الثمالي

أَبا جُندَبٍ وَإِذ يَقولُ خُوَيلَدٌ بِذاتِ المَجازِ أَدرَكَ القَومُ فَاِذهَبِ

الحارث بن حلزة

وَاِذكُرُوا حِلفَ ذي المَجازِ وَما قُ دِّمَ فيهِ العُهودُ وَالكُفَلاءُ

النابغة الذبيانى

باتَت ثَلاثَ لَيالٍ ثُمَّ واحِدَةً بِذي المَجازِ تُراعي مَنزِلاً زِيَما
كادَت تُساقِطُني رَحلي وَميثَرَتي بِذي المَجازِ وَلَم تُحسِس بِهِ نَغَما

المخضرمون

❖ عكاظ

أبو ذؤيب الهذلي

إِذا بُنِيَ القِبابُ عَلى عُكاظٍ وَقامَ البَيعُ وَاِجتَمَع الأُلوفُ
تُواعِدُنا عُكاظَ لَنَنزِلَنهُ وَلَم تَعلَم إِذاً أَنّي خَليفُ

القتال الكلابى

وَأَتى عُكاظَ فَقالَ إِنّي مانِعٌ يا اِبن الوَحيدِ عُكاظَ فَاِذهَب فَاِقعُدِ

المخبل السعدي

لَيالِيَ سَعدٌ فِي عُكاظَ يَسوقُها   لَهُ كُلُّ شَرقٍ مِن عُكاظَ وَمَغرِبِ

النابغة الجعدى

تَلاَقى رَكيبٌ مِنكُمُ غَيرُ طائِلِ   إِذا جَمَعَتهُم مِن عُكاظَ الجَباجِبُ
وَلَقَد شَهِدتُ عُكاظَ قَبلَ مَحَلِّها   فِيها وَكُنتُ أُعَدُّ مِنَ الفِتيانِ

حسان بن ثابت

سَأَنشُرُ إِن بَقيتُ لَهُ كَلاماً   يُسَيَّرُ فِي المَجامِعِ مِن عُكاظِ

خداش العامرى

ضَرَبناهُم بِيَطنِ عُكاظَ حَتّى   تَوَلَّوا ظالِعينَ مِنَ النَجادِ

دريد بن الصمة

تَغَيَّبتُ عَن يَومَي عُكاظَ كِلاهُما   وَإِن يَكُ يَومٌ ثالِثٌ أَتَغَيَّبُ

ضرار الفهرى

غَداةَ عُكاظٍ إِذ اِستَكمَلت   هَوازِنُ فِي كَفِها الحاضِرِ

عامر بن الطفيل

وَيَومَ عُكاظٍ أَنتُمُ تَعلَمونَهُ   شَهِدنا فَأَقدَمنا بِها الحَيَّ مُقدَما

عبد الله بن الزبعري

وَهُم يَومَ عُكاظٍ مَـ   نَعوا الناسَ مِنَ الهَزمِ

الحطيئة

سَما لِعُكاظٍ مِن بَعيدٍ وَأَهلِها   بِأَلفَينِ حَتّى دُسنَهُم بِالسَنابِكِ

أمية بن الأسكر

قومي اللذو بعكاظٍ طيروا شرراً   من روس قومك ضرباً بالمصاقيل

عاتكة بنت عبد المطلب

بِعكاظ يعشي الناظِـــــــريـ   نَ إِذا هم لَمحـــوا شعاعـــــه

كعب بن زهير

فَشَرَيتُهُ بِأَجَمَّ أَســـوَدَ حالِكٍ   بِعُكاظَ مَوقوفاً بِمَجمَعِها ضُحا

❖ ذو المجاز:

أبو ذؤيب الهذلي

فَرَّوحَها مِن ذي المَجازِ عَشِيَّةً   يُبادِرُ أَولى السابِقاتِ إِلى الحَبَلِ

النجاشي الحارثى

قَرَّ ابْنُ حَسَّانٍ بِذِي المَجَازِ

حسان بن ثابت

غَدا أَهلُ حِضنَي ذي المَجازِ بِسُحرَةٍ   وَجارُ اِبنِ حَربٍ بِالمُحَصَّبِ ما يَغدو

عمرو بن أحمر الباهلى

إِمّا الحِبالُ وَإِمّا ذو المَجـــازِ وَإِمّ   ما في مِنىً سَوفَ تَلقى مِنهُمُ سَبَبا

❖ مجنة :

أبو ذؤيب الهذلي

فَوافى بِها عُسفانَ ثُمَّ أَتى بِها   مَجَنَّةَ تَصفو في القِلالِ وَلا تَغلي

المصادر والمراجع

الأرناؤوط (معروف) :

١– سيد قريش، جـ٢، مطبعة فتى العرب، دمشق، ١٣٥٠هـ – ١٩٣١م .

الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله) :

٢– أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جـ١، جـ٢، حققه ونشره بمكة رشدي الصالح ملحس، سنة ١٣٥٢هـ – ١٩٣٣م، دار الأندلس، بيروت، ١٣٨٥هـ –١٩٦٥م .

الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) :

٣– الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٧م .

الأصمعي (عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد)

٤– الأصمعيات ، دار المعارف، القاهرة، د . ت .

الأعشى (ميمون بن قيس) :

٥– الديوان ـ شرح وتحقيق د . محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م

الأفغاني (سعيد) :

٦– أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٥٦هـ–١٩٣٧م .

الألوسي (محمود شكري) :

٧- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه محمد بهجة الأثري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت .

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري) :

٨- الصحيح، متن مشكول، (حاشية السندي)، جـ٢، دار المعرفة، بيروت، د . ت .

أمين (أحمد) :

٩- عكاظ والمربد، مجلة الرسالة، عدد ١٣، القاهرة، ١٩٣٣م .

بروكلمان (كارل) :

١٠- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة : أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م .

ثابت، حسان، الأنصاري :

١١- الديوان، شرحه وعلق عليه الدكتور وليد عرفات، جزءان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤ .

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) :

١٢- البيان والتبيين، مجلدان، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥ .

حسين (د. طه) :

١٣- في الأدب الجاهلي، دار المعارف، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٩٦٩ م .

حسين (محمد محمد) :

١٤– أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين ، دار النهضة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٢ .

حمور (عرفان محمد) :

١٥– سوق عكاظ ومواسم الحج، الناشر مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٠م .

الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله) :

١٦– معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م .

الرافعي (مصطفى صادق) :

١٧– تاريخ آداب العرب، المطبعة المصرية، د.ت .

ابن الشجري (ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني)

١٨– الآمالي، طبعة حيدر آباد، ١٣٤٩ .

الشريف (أحمد إبراهيم) :

١٩– مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، د.ت .

الشنقيطي (أحمد) :

٢٠– شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الأندلس، بيروت، د.ت .

الصالح (د. صبحي) :

٢١– دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة ، بيروت، ١٩٨١م .

ضيف (د. شوقي) :

٢٢– تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) الطبعة الثانية والعشرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت .

٢٣– تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية – العراق – إيران)، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة، د . ت .

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) :

٢٤– العقد الفريد ، حققه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م .

العبيكان (طرفة عبد العزيز) :

٢٥– الحياة العلمية والاجتماعية في القرنين السابع والثامن للهجرة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

عزام (عبد الوهاب) :

٢٦– موقع عكاظ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠م .

الفاسي (أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي) :

٢٧– شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جزءان، حقق أصوله وعلق على

حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت، د . ت .

ابن قتيبة :

٢٨- المعارف، حققه وقدمه الدكتور ثروت عكاشة، الطبعة السادسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ .

متى (فيليب) : ومعه إدوارد جرجي، جبرائيل جبور

٢٩- تاريخ العرب، دار غندور، بيروت، ١٩٨٦ .

المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني) :

٣٠- الأزمنة والأمكنة، طبعة دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، ١٣٣٢هـ .

النابغة الجعدي :

٣١- الديوان، جمع وتحقيق د . واضح الصمد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨ .

النابغة الذبياني :

٣٢- الديوان، شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور، تونس، د . ت .

الهذلي (أبو ذؤيب) :

٣٣- ديوان الهذليين (القسم الأول شعر أبي ذؤيب)، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٥م .

ابن هشام :

٣٤- السيرة النبوية، تحقيق محمد فهمي السرجاني، مكتبة التوفيقية، القاهرة، د . ت .